وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة ديالى
كلية التربية
قسم التاريخ

علماء المدائن ومروياتهم التاريخية من القرن الأول الهجري حتى سنة 656هـ

رسالة مقدمة إلى مجلس كلية التربية – جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجة ماجستير في التاريخ الإسلامي

تقدم بها الطالب

محمد عيان دان

بإشراف

الأستاذ الدكتور تحسين حميد مجيد

1429هـ 2008م

المدائن في المعاجم اللغوية :

أشتقت المدائن من (مدن) ، ومدن بالمكان أقام به فعل ممات ومنه المدَينةُ وهي فعَيلة ، تجمع على مدائن بالهمزة ، وَمَدنٌ ومدّن بالتخفيف والتثقيل ، وفيه قول آخر انه مَفعِله من دنت أي مُلِكَت وقال ابن بري لو كانت الميم في مدينة زائدة لم يجز جمعها على مدائن وفلان مدن المدائن كما يقال مصر الأمصار ، وقد سُئِل أبو علي الفسوي عن همزة مدائن فقال فيها قولان : من جعله فَعيِلة من قولك مدن بالمكان أي أقام به همزه ، ومن جعله مَفعِله من قولك دين أي ملك لم يهمزه ، ولا تهمز إذا أخذت من دانَ يدين إذا أطاع ، ولا تهمز إذا جمع على مداين لأنه مثل معيشة معايش [١] .

والمدائن جمع مدينة فقد وردت في معاجم اللغة العربية وهي مشتقة من (مدن) أي الذي أقام في المكان ، ولقد أورد كل من ابن منظور (ت٧١١هـ) والفيروزابادي (ت٨١٧هـ) معنى آخر للمدينة فهي عندهم تعني الحصن ، ومما له أهمية إشارة الفيروزآبادي إلى أن المدينة تعادل من حيث المقومات الأمة [٢] .

والنسبة إليها مدائني ، وإنما جاز النسبة إلى الجمع بصيغته لأنه صار علماً بهذه الصيغة ، وإلا فالأصل أن يرد المجموع إلى الواحد ثم ينسب إليه ، والنسبة إلى مدينة الرسول (ﷺ) مدني ، والنسبة إلى مدينة المنصور وأصفهان وغيرهما مديني [٣] . ووردت هذه التسميات لكي لا يخلط بينها . وقد كانت العرب إنما تنسب إلى قبائلها فلما جاء الإسلام وغلب عليهم سكن القرى والمدائن حدث فيما بينهم الانتساب إلى الأوطان كما

---

(١) الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ) مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، (بيروت – ١٩٩٥) ، ج١٣ ، ص٦٤٢ ؛ ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، ط١ ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) ، ج١٣ ، ص٤٠٢ .

(٢) الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ) ، القاموس المحيط دار الفكر ، (بيروت – ١٩٨٣) ، ج١ ، ص١٥٩٢ ؛ الزبيدي ، محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس ، مكتبة الحياة ، (بيروت – د.ت) ، ج١ ، ص٨١٧٣ ؛ عبد الجبار ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، جامعة البصرة ، ١٩٨٦ ، ص٤٧ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٧٤/٥ ؛ ابن جني ، أبو الفتح عثمان الموصلي النحوي (ت٣٩٢هـ) اللمع في العربية ، تحقيق فائز فارس ، دار الكتب الثقافية ، (الكويت – ١٩٧٢) ، ج١ ، ص٢١٠ ؛ الزبيدي ، تاج العروس : ٨١٧٣/١ .

كانت العجم تنسب إلى أوطانها ومن كان من الناقلة من بلد إلى بلد وأراد الجمع بينهما في الانتساب فليبدأ بالأول ثم الثاني المنتقل إليه فيقال مثلاً فلان المصري الدمشقي [١].

التسمية والمواقع الجغرافية :

اختلفت الآراء في تسمية المدائن بالجمع ، حتى أن ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) استغرب من الجمع وقال : " إني لم أر أحداً ذكر لمَ سميت بالجمع والذي عندي فيه أن هذا الموضوع كان مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانيين وغيرهم فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسهِ مدينة إلى جنب التي قبله وسماها باسم" [٢].

والمدائن مدينة كسرى قريبة من بغداد على سبعة فراسخ منها وسميت لكبرها[٣].

وقال بطليموس طول المدائن سبعون درجة وثلث وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلث [٤].

ويضيف الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) إنها سميت المدائن لكثرة ما بنى بها الملوك والاكاسرة الساسانيون وأثروا فيها من الآثار ، وهي على جانبي دجلة شرقاً وغرباً، ودجلة تشق بينهما ، وتسمى المدينة الشرقية العتيقة وفيها القصر الأبيض القديم وتتصل بها على مسافة مدينة اسبانير التي فيها الإيوان[٥]. وهذه المدائن ضمن حوض نهر ديالى الأسفل[٦] . أما المدائن التي تقع على الجهة الغربية لدجلة فتسمى بهرسير[٧] .

ويمكن اعتبار إن أول من أطلق عليها تسمية المدائن هم العرب لأنهم بعد طردهم الفرس منها وجدوها سبعة مدائن ، وهذا ما أورده ياقوت (ت٦٢٦هـ) عندما قال : "

---

(١) الابناسي ، إبراهيم بن موسى بن أيوب (ت ٨٠٢هـ) ، الشذا الفياح ، تحقيق صلاح فتحي هلل ، ط٢ ، مكتبة الرشد ، (الرياض – ١٩٩٨) ، ج٢ ، ص٧٨٨ .

(٢) معجم البلدان : ٧٤/٥ .

(٣) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط : ١٥٩٢/١ ؛ الزبيدي ، تاج العروس : ٨١٧٣/١ .

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٧٤/٥ .

(٥) الخطيب البغدادي ، أبو بكر احمد بن علي (ت٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ج١ ، ص١٢٨ .

(٦) آدمز ، تاريخ الاستيطان في سهول ديالى : ٢٩٢ / ٢٩٣ .

(٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١٢٨/١ .

سمتها العرب المدائن لأنها سبعة مدائن بين كل مدينة وأخرى مسافة قريبة أو بعيدة " [١].

ومما تجدر الإشارة إليه إن ملوك الفرس كان لهم حسن التدبير والسياسة والنظر في الممالك واختيار المنازل فكلهم اختار المدائن ، وقد عزى الخطيب البغدادي (ت٤١٣هـ) سبب اختيارهم هذا المكان إلى " صحة تربتها وطيب هوائها واجتماع مصب دجلة والفرات بها [٢].

ويذكر عن الحكماء إنهم كانوا يقولون ، إذا أقام الغريب على دجلة من بلاد الموصل تبين في بدنه قوة ، وإذا أقام بين دجلة والفرات بأرض بابل تبين في فطنته ذكاء وحدة ، وفي عقله زيادة وشدة ، وذلك الذي أورث أهل بغداد بحسن الأخلاق والتفرد بجميل الأوصاف ، وقل ما اجتمع اثنان متشاكلان ، وكان أحدهما بغدادياً ، إلا كان المقدم في لطفه وحسن الحيلة ، وحلاوة القول ، وأوجد ألينهما معاملة وأحملهما معاشرة [٣].

وكانت المدائن دار مملكة الفرس الأكاسرة ، ومحل كبار الاساورة ، ولهم فيها آثار عظيمة وأبنية قديمة ، واختلفت المصادر التاريخية في ذكر أول من أختط في هذا المكان مدينة . وقد أورد ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) : إنّ أول من اختط في هذا المكان مدينة له هو أردشير بن بابك ، وقال : " وقد ذكر في سير الفرس إن أول من اختط مدينة في هذا الموضوع ، اردشير بن بابك ، قالوا لما ملك البلاد سار حتى نزل في هذا الموضع فأختط به المدينة " [٤].

ويقول اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) إن أول من نزل المدائن آنوشروان بن قباذ ، وأجمع العلماء والمنجمون والمتطببون ، انه ليس في المملكة بلد أوضع ولا أفضل ولا اعدل من تلك البقعة ، وما قرب منها من إقليم بابل [٥]. وبنى عدة مدن منها مدينة دخلت في عداد

---

(١) معجم البلدان : ٧٤/٥ .

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١٢٨/١ .

(٣) الخطيب البغدادي ، المصدر نفسه : ١٢٨/١ .

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٧٤/٥ .

(١) اليعقوبي ، احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب (ت٢٨٤هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) ، ج١ ص١٧٦ .

المدائن السبع ومنه (به أزاديوحنسرو) وهي المسمات رومية المدائن ، ومعنى (به أزانديو) أي خير من أنطاكية [١] .

وقيل أن الاسكندر أجل ملوك الأرض نزلها ، وقيل أنه ذو القرنيين الذي ذكره الله تعالى في كتابه ، فبنى هذا الملك في كل ارض وطئتها قدمه مدناً كثيرة ، في مشارق الارض ومغاربها فبنى في المغرب الإسكندرية ، وبنى بخراسان السفلى ومرو وهراة ومدينة أصبهان وغيرها من المدن ، فلم يختر منها منزلاً سوى المدائن ، فنزلها وبنى بها مدينة عظيمة على جانب دجلة الشرقي وهي التي تسمى بالرومية ، وأقام الاسكندر بها راغباً عن بقاع الارض جميعاً ، وعن بلاده ووطنه حتى مات بها وحمل منها فدفن في الاسكندرية لمكان والدته فإنها كانت باقية هناك [٢].

ويذكر ياقوت (ت٦٢٦هـ) ان زاب الملك الذي جاء بعد موسى (عليه السلام) هو الذي ابتناها بعد ثلاثين سنة من ملكه وحفر الزوابي وكورها وجعل المدينة العظمى المدينة العتيقة وبذكر ياقوت " ان هذا ما وجدته مذكوراً عن القدماء " [٣]. ويبدو ان هذه الرواية بعيدة عن الصحة وهي ضمن الاسرائيليات التي تناقلها بعض الرواة العرب.

اما اسم المدائن بالفارسية (توسفون) فعربت على طيسفون أو طيسفونج واسماء هذه المدن هي : اسفابوروه اردشير وهنبوشافور ودرزيندان ووه جنديوخسرة ونيو نيافاذ وكردفان فعربت اسفابور على اسفانبر ، وعرب وه اردشير على بهرسير وعرب هنبوشافور على جنديسابور وعرب درزيندان على درزيجان ، وعرب وه جنديوخسرة على الرومية وعرب السادس والسابع على اللفظ [٤].

---

(٢) حمزة الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الارض ، منشورات دار الحياة ، (بيروت – ١٩٦١) ،ص٥٠-٥٢

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١٢٨/١ .

(٤) معجم البلدان : ٧٤/٥ .

(٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٧٥/٥ ؛ ابن عبد الحق البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن (ت٧٣٩هـ) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق محمد علي البجاوي ، ط١، دار إحياء الكتب العربية ، (بيروت –١٩٥٥) ، ج٣ ، ص١٢٤٣ .

* الفرسخ = ٣ أميال أو ٦ كيلومترات ، أي إنها تبعد عن بغداد ١٨ كيلومتر . ينظر : فالترهنتز، المكاييل والأوزان الإسلامية : ص٩٤ ؛ إبراهيم بن سليمان ، الأوزان والمقادير ، صور الحديثة (لبنان – ١٣٨١) ، ص٨٦ .

ويرى المؤرخ (كريستنسن) اعتماداً على المصادر القديمة والحفريات التي قام بها علماء الآثار في المدائن انها تتكون من مجموعة المدن التي كانت تتكون منها العاصمة الفارسية أيام كسرى الأول خمس مدن : طيسفون القديمة ، وروميكان (الرومية) وهي على الشاطيء الشرقي للنهر ، وويه اردشير (سلوقية) ودرزيندان ، وبلاش– آباذ (ساباط) على الشاطيء الغربي ، ويكمل عدد المدن إلى سبع إذا نحن عددنا حي اسبانير وحي ماخوزا على الشاطيء الايمن [١].

والتمعن اكثر في ماهية المدائن ومعرفة اثارها ومن بناها فلابد من الاشارة إلى كل واحدة منها على حدة ، وهذه المدائن هي :

أولاً : طيسفون (المدينة العتيقة) :

وهي مدينة كسرى التي فيها الايوان بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ * وهي شرق دجلة تحت بغداد على مرحلة منها ، وأصلها طوسفون فعربت على طيسفون ، تقع في الاقليم الثالث من الاقاليم السبعة إذ الطول سبعون درجة والعرض ثلاث وثلاثون درجة وعشر دقائق [٢]. يضرب المثل في بنيانها العجيب الرفيع الصنعة والمتناهي الحصانة والوثاقة من عجائب أبنية الدنيا ومن أحسن آثار الملوك ، وزعموا انه تعاون على بنائه عدة ملوك ، وقال حمزة عن الكتاب الذي نقله عن ابن المقفع ان الايوان الباقي من بناء سابور بن اردشير الملقب بذو الاكتاف [٣] . وقيل ان كسرى ابرويز هو من بناه واستغرق في بنائه نيف وعشرين سنة وتأنق في تأسيسه وتشييده وتحسينه [٤]. وأورد الثعالبي

---

(١) آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، دار النهضة العربية ، (بيروت – ١٩٨٢)،ص٣٧٢ – ص٧٧٣ .

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٣٥/٤ ؛ القلقشندي ، احمد بن علي (ت٨٢١هـ) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، تحقيق يوسف علي طويل ، ط١ ، دار الفكر ، (دمشق – ١٩٨٧) ، ج٤ ، ص٣٣٢ .

(٣) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) ، المعارف ، ط٢ ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠٠٢م) ، ج١ ، ص٣٧٦ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٢٩٤/١ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى : ٣٣٢/٤ .

(١) الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ط١ ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٦٥) ، ج١ ، ص١٨٢ .

(ت٤٢٩هـ) رواية أشار فيها ان من بناه هو انوشروان وهو الذي بنى الباب والإيوان ، وإياه أراد الشاعر أبو نصر المرزباني عندما قال :

قلت لما رأيته في قصور مشرفات البناء والجدران
هبك كسرى كسرى الملوك انو شروان باني الابواب والايوان [١]

ويوصف هذا الايوان بانه مبني بالآجر والجص طول كل آجره نحو ذراع وسمك مائة ذراع وطول كل شرفة من شراريفه خمسة عشر ذراعاً [٢]. وسعته من ركنه إلى ركنه خمسة وتسعون ذراعاً وارتفاعه ثمانون ذراعاً ، فلما ولد رسول الله (ﷺ) انشق هذا الايوان ثم خرب [٣]

ومن الاثار الاخرى التي كانت في المدينة العتيقة أو ما تسمى طيسفون ، القصر الابيض وهو قصر الاكاسرة بالمدائن وكان من العجائب لم يزل قائماً حتى زمن المكتفي بالله العباسي (٢٨٩ – ٢٩٥هـ) ، اما الجرماز اسم بناء عند ابيض المدائن فأنه عفا اثره وكان عظيماً [٤] .

ثانياً : بهرسير :

وهي من نواحي سواد بغداد قرب المدائن ، ويقال بهرسير الرومقان إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن وهي معربة من به أرشير التي معناها خير مدينة أردشير هي غرب دجلة تجاه الإيوان لأن الإيوان في شرقي دجلة وهي غربية ، وفيها قال أبو مقرن أيام الفتح :

تولى بنو كسرى وغاب نصيرهم على بهرسير فاستشهد نصيرها
غداة تولت عن ملوكِ نصرها لدى غمرات لا يبل بصيرها
مضى يزدجرد بن الأكاسر سادماً شع وأدبر عنه بالمدائن خيرها

(٢) الثعالبي ، المصدر نفسه : ١/١٨٠ .
(٣) الثعالبي ، المصدر نفسه : ١/١٨١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ١/٢٩٤ .
(٤) القلقشندي ، صبع الاعشى : ٤/٣٣٢ .
(٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٢/١٢٩ ؛ الزبيدي : تاج العروس : ١/٤٥٨٠ .

والشعر في ذكرها كثير [١] .

ثالثاً : به اردشير :

وهي إحدى المدائن التي بناها اردشير على شاطيء دجلة قبالة مدينة طيسفون التي في شرق دجلة وهي على غربيه وسماها به أردشير وكورها وضّم إليها بهرسير والرومقان ونهر درقيط وكوثى ونهر جوبر واستعمل عليها عمالاً [٢].

رابعاً : درزيجان :

قرية كبيرة تحت بغداد على نحو خمسة كيلو مترات شمال ويه أردشير ومنها كان والد ابي بكر احمد بن ثابت الخطيب البغدادي وكان يخطب بها وقال ياقوت : " كانت درزيجان احدى المدائن السبع التي كانت للاكاسرة وبها سميت المدائن واصلها درزيندان فعربت على درزيجان " [٣].

خامساً : بلاش – آباد (ساباط) * :

وهي احدى المدائن السبع وهي المدينة التي بناها الملك (بلاش بن فيروز) وسماها بلاش آباد وبنى مدينة أُخرى بجانب حلوان سماها بلاشفر . وتقع بلاش آباد على الشاطىء الايمن لدجلة ولعلها كانت غرب ويه – أردشير [٤] . اما ياقوت الحموي

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٥١٥/١ .

(٢) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، تاريخ الأمم والملوك ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤٠٧هـ) ، ج١ ،ص ٣٩١ ؛ حمزة الأصفهاني ، تاريخ سني ملوك الأرض : ص٥٠ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٤٥٠/٢ ؛ كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين، ص٣٧٢ .

* الساباط : سقيفة بين دارين وتحتها طريق ، ينظر : الفيروزآبادي ، القاموس المحيط : ٨٦٤/١ .

(٤) حمزة الأصفهاني ، تاريخ سني ملوك الأرض : ص٥٠ ؛ كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين : ص٣٧٣ .

* حجام ساباط : رجل كان ملازم لساباط المدائن وكان يحجم من مر عليه من الجيش الذي ضرب عليهم البعث بدانق واحد ، وكان من ذلك يمر عليه الأسبوع والأسبوعان لا يقربه احد فحينئذ كان يخرج أمه فيحجمها ليرى الناس انه غير فارغ لئلا يقرع بالبطالة فما زال دأبه حتى ماتت أمه فجأة فصار مثلاً يقال ، ينظر : الميداني ، أبو الفضل احمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ) ،

(ت٦٢٦هـ) فقال : " الساباط موضع بالمدائن لكسرى ابرويز " ، وهو معرب ابلاس آباد ، وقيل سمي هذا الموضع بساباط نسبة إلى (ساباط بن بطا) الذي كان سكنه وهو اخو النخيرجان بن بطا الذي لقي العرب في جمع من أهل المدائن ، وقيل في هذا الموضع المثل القائل " أفرغ من حجام ساباط " * [١] .

سادساً : جنديوخسرة :

ويقال وه جنديوخسرة ، اسم احدى مدائن كسرى السبع وهي المسمات رومية المدائن ، بنيت على مثال انطاكية وسلوقية وملطية وهي على الجانب الشرقي من دجلة ، وقيل ان الاسكندر أجل ملوك الارض ويقال ذو القرنين هو من بناها [٢] .

فتح المدائن :

بشائر الفتح :

وردت العديد من الروايات التاريخية التي حملت في طياتها بشائر ورؤيا وردت عن النبي (ﷺ) كما وردت عن آخرين ، وأولى هذه الروايات وجاءتنا قبل مبعث النبي (ﷺ) أوردها الاصبهاني (ت٥٣٥هـ) عن عمر بن مرة الجهني انه قال : " خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية فرأيت رؤيا وانا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء لي جبل يثرب واشعر وجهينة فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : انقشعت الظلماء وسطع الضياء وبُعِثَ خاتم الأنبياء ، ثم اضاء اضاءةٌ أُخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وابيض المدائن ، فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : ظهر الإسلام وكسرت الأصنام ووصلت الأرحام ، فانتبهت فزعاً فقلت لقومي والله ليحدثن في هذا الحي من قريش حدث

مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، (بيروت – د.ت) ، ج٢ ، ص٨٦ .

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ١٦٦/٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب : ٣٠٨/٧ .

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١٢٨/١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٤٥٠/٢ ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط : ١٤٤١/١ .

وأخبرتهم بما رأيتهُ ، فلما انتهينا إلى بلادنا قيل أن رجلاً اسمه احمد قد بعث فخرجت " [١] .

أما الطبري (ت٣١٠هـ) فقد أورد رواية أُخرى عمن رواه عن عبد الرحمن بن أبي بكرة انه قال : " بينما كسرى بن هرمز نائم ليلة في هذا الإيوان إيوان المدائن والاساورة محدقون بقصره إذ اقبل رجل يمشي معه عصا حتى قام على رأسه فقال : يا كسرى بن هرمز إني رسول الله إليك أن تسلم فأسلم قالها ثلاث مرات وكسرى مستلق ينظر إليه لا يجيبه ، ثم انصرف عنه فأرسل كسرى إلى صاحب حرسه فقال أنت أدخلت علي هذا الرجل ؟ قال لم أفعل ولم يدخل من قبلنا أحد ، قال فلما كان العام المقبل خاف كسرى تلك الليلة ، فأرسل إليه أن أحدق بقصري ولا يدخل علي احد قال ففعل فلما كانت تلك الساعة إذ هو قائم على رأسه ومعه عصا وهو يقول له يا كسرى بن هرمز إني رسول الله إليك أن تسلم فأسلم خير لك ، قال كسرى ينظر إليه لا يجيبه' فأنصرف عنه ، قال فأرسل كسرى إلى صاحب الحرس ألم أمرك ألا يدخل عليّ أحد ؟ قال أيها الملك انه والله ما دخل عليك من قبلها احد فأنظر من أين دخل عليك قال فلما كان العام المقبل فكأنه خاف تلك الليلة فأرسل إلى صاحب الحرس والحرس ان أحدقوا بيّ الليلة ولا تدخل امرأة ولا رجل ففعلوا فلما كانت تلك الليلة إذ هو قائم على رأسه وهو يقول ياكسرى بن هرمز إني رسول الله إليك أن تسلم فأسلم خير لك قالها ثلاث مرات وكسرى ينظر إليه لا يجيبه' فقال ياكسرى انك قد ابيت علي والله ليكسرنك الله كما اكسر عصاي هذه ثم كسرها وخرج ..." [٢] .

اما الرواية الثالثة ، فقد أوردها الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) في تاريخه' قال : " كتب رسول الله (ﷺ) مع عبد الله بن حذافة إلى كسرى من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ان أسلم تسلم من شهد شهادتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ذمة الله وذمة رسوله ، فلما قرأ الكتاب قال عجر صاحبكم ان يكتب الا في كراع قال فدعى بالجلمين فقطعه' ثم دعا بالنار فأحرقه ثم ندم فقال لابد ان اهدي له هدية قال فكلمة عبد الله بن حذافة كلاماً شديداً قال فأدرج له شققاً من ديباج وحرير فأهداها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبلغنا ان رسول الله (ﷺ) قال : مزق كسرى كتابي ليمزقن الله ملكه

---

(١) الاصبهاني ، إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي (ت٥٣٥هـ)، دلائل النبوة ، ط١ ، دار طيبة ، (الرياض – ١٤٠٩هـ) ، ج١ ، ص١٢١ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك : ٤٧٢/١ ؛ الاصبهاني ، دلائل النبوة : ١٨٠/١ – ١٨١ .

كل ممزق ثم ليهلكن كسرى ثم لا يكون كسرى بعده وليهلكن قيصر ثم لا يكون بعده قيصر ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل " [١] .

أما الرواية الأخرى فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عدي بن حاتم الطائي بأنه سوف ينصر الله المسلمين ويفتح عليهم مدائن كسرى رغم قلتهم وضعفهم فقال عليه الصلاة والسلام لعدي : " لا يمنعك من هذا الدين ما ترى من جهد أهله وضعف أصحابه فلكأنهم بيضاء المدائن قد فتحت عليهم ولكأنهم بالضعينة تخرج من الحيرة حتى تأتي مكة بغير غفارة لا يخاف إلا الله" [٢] . فأصبر عدي ذلك كله' وكان على اول خيل دخلت المدائن .

أما الرواية الأخرى ، فهي يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ، فقد وردت عن البراء بن عازب انه قال : " لما أمر رسول الله (ﷺ) بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام رسول الله (ﷺ) وأخذ المعول ووضع ردائه ناحية الخندق وقال : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا ﴾ * . وضرب ضربة فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم برقة ثم ضرب الثانية وقال : الاية فنذر الثلث الاخر فبرقت برقة فرآها سلمان ثم ظرب الثالثة وقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا ﴾ فنذر الثلث الباقي وخرج رسول الله (ﷺ) واخذ رداءه وجلس ، قال سلمان يارسول الله رأيتك حين ضربت ! ما ضربت ضربة إلا كانت معها برقة ؟ قال له رسول الله (ﷺ): رأيت ذلك يا سلمان ؟ فقال : أي والذي بعثك بالحق يا رسول الله ! فقال : حين ضربت الظربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها مدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني ، فقال له من حضره من أصحابه يا رسول الله إدع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ديارهم ويخرب بأيدينا بلادهم فدعا رسول الله (ﷺ) – ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني ، فقال له من حضره من أصحابه يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ويخرب بأيدينا بلادهم فدعا رسول الله (ﷺ) – ثم

---

(١) تاريخ بغداد : ١٣٢/١ .

(٢) الشيباني ، أبو بكر احمد بن عمر وبن الضحاك (ت٢٨٧هـ) ، الآحاد والمثاني ، تحقيق بسام فيصل احمد الجوابرة ، ط١ ، دار الراية ، (الرياض – ١٩٩١) ، ج٤ ، ص٣٢١ .

* الأنعام : ١١٥ .

ضربت الضربة الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني – قال رسول الله (ﷺ) عند ذاك : دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم " [١] .

وردت رواية أُخرى بمعنى الرواية السابقة نفسها ولكن بصيغة أُخرى وردت عن البراء بن عازب قال :" أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق قال وعرضت لنا صخرة لا تأخذ المعاول فشكوا ذلك إلى النبي (ﷺ) قال : فأخذ المعول – قال أو احسبه قال : وضع ثوبه – فضرب ضربة وقال : بسم الله فكسر ثلث الصخرة ثم قال : الله اكبر ! أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأنظر إلى المدائن وقصرها الأبيض في مكاني هذا ثم قال : بسم الله وضرب ضربة أُخرى فكسر بقية الحجر وقال : الله اكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لانظر إلى مفاتيح صنعاء من مكاني هذا "[٢].

ووردت أيضاً رواية مضمونها إن جماعة كانوا جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت جماعة أُخرى فقالوا يارسول الله كنا قريب عهد بجاهلية وكنا نصيب الآثام والزنا فأردنا أن نجلس في البيوت ونصوم ونقوم حتى يدركنا الموت فسّر رسول الله (ﷺ) بمسألتهم حتى عرف السرور في وجهه ثم قال : " إنكم ستجدون أجناداً يكون لكم ذمة ويفتح الله لكم منها ما يكون على سيف بحر مدائن وقصور فمن أدرك ذلك منكم فأستطاع أن يجلس نفسه في مدينة من تلك المدائن فليفعل حتى يدركه الموت " [٣] .

القادسية وفتح المدائن

---

(١) القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القران ،(د.ت –د.م) ، ج١٤ ، ص١١٤.

(٢) أبو يعلى ، احمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (ت٣٠٧هـ) ، مسند أبي يعلى ، تحقيق حسين سليم أسد ، ط١ ، دار المأمون للتراث ، (دمشق– ١٩٨٤) ، ج٢ ، ص٢٤٤ ؛ ابن حجر، أبو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، (بيروت – ١٣٧٩ هـ) ج٧ ، ص٣٩٧ ؛ المتقي الهندي ، علي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ) ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مؤسسة الرسالة ؛ (بيروت – ١٩٨٩) ، ج١١ ، ص٤٩٧ .

(٣) الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ) ، أعلام النبوة ، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – ١٩٨٧) ، ج١، ص١٢١ .

كان فتح المدائن بعد وقعة القادسية التي اختلف المؤرخون في سنة حدوثها ، إذ ذهب كثير من المؤرخون إلى أن ذلك كان سنة ست عشرة وهذا قول الواقدي عن آخرين من الناس ، وفريق ذهب إلى أن ذلك كان سنة خمس عشرة ، ومنهم من رأى أنها كانت سنة أربع عشرة ، والذي اقطع انها كانت سنة خمس عشرة هو ابن إسحاق[١] . وكان أمير الناس سعد بن أبي وقاص (ﷺ) ورأس المجوس رستم ومعه الجالينوس وذو الحاجب ، وكان المسلمون أرجح عن سبعة آلاف ، والمجوس ستون ألفاً أو أربعين ألف وكان معهم سبعون فيلاً[٢] .

وتعد هذه المعركة من اعنف المعارك التي خاضها المسلمون في مواجهة الفرس ، واستمرت أربعة أيام تواصل القتال فيها ليلاً ونهاراً ، انتهت بانتصار المسلمين نصراً حاسماً على الفرس وأجبرت قواتهم بالانسحاب إلى المدائن [٣] .

أقام المسلمون بعد الفتح بشهرين بالقادسية ينتظرون كتاب الخليفة حتى وصلهم ، فسار سعد بأمر الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) إلى المدائن ، فلقيهم النخيرجان في جمع عظيم من أهل المدائن ودار بينهم قتال قتل على أثره النخيرجان وانهزم أتباعه نحو المدائن ، فاتبعهم سعد والمسلمون نحو المدائن ودخلوا ساباط وخضعت لهم بهرسير وهي التي في شق الكوفة وعبر الفرس بفلولهم إلى الجانب الشرقي من نهر دجلة والذي توجد فيه قصور كسرى وتحصنوا فيه ، وصالح سعد أهل الرومية وبهرسير ، وأقام المسلمون فيها تسعة أشهر ويقال ثمانية عشر شهراً " حتى أكلوا الرطب مرتين" [٤] . وذلك لان فتح

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ٨٩/٣ ؛ المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ ، مطبعة السعادة ، (مصر – ١٩٦٤) ، ج١ ، ص٣٢٨ .

(٢) ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي(ت٢٣٥هـ) ، المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، ط١ ، مكتبة الرشد ، (الرياض– ١٤٠٩هـ) ، ج٦ ، ص٥٥١ ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ) ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط٢ ، مطبعة السعادة ، (مصر– ١٩٦٤) ، ج١ ، ص٣٢٨ .

(٣) البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة العربية ، (مصر – د.ت) ، ج٢ ، ص٣٣٧ .

(١) البلاذري ، فتوح البلدان : ٣٢٢/٢ ، ٣٣٨/٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ١١٩/٣ .

المدائن الغربية استغرقت وقتاً اجبر المسلمين على التأخر بعبور دجلة نحو الجانب الشرقي من المدائن .

ولما أراد المسلمون عبور دجلة تعذر عليهم إيجاد وسيلة للعبور وخاصة أن الفرس ضموا السفن إليهم واحرقوا الجسر ورفعوا المعابر إلى الجهة الشرقية وكانت دجلة تطفح بماء لم ير مثله قط ، فخطب سعد بالناس وحثهم ، فانتدب رجل من المسلمين فسبح فرسه وعبر فسبح المسلمون وراءه ، وكانوا على فرقتين ، أصحاب الخيول الذكور وأصحاب الخيول الإناث ، فلما رآهم الفرس يطفون على سطح الماء قالوا "ديواناً ديوانا " يقولون مجانين مجانين ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون جناً فانهزموا" ودخل سعد بالجيش وأمهل أهلها ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسي فلما كان اليوم الثالث فنزلوا منه وسكنه سعد وصلى فيه سعد صلاة الفتح تيمناً بما كان يفعله رسول الله (ﷺ) [١].

حاز المسلمون من الأموال ما يعجز عن حصره ميزان وقبان حتى ان منهم من يقول " من يقايض صفراء ببيضاء " لكثرة ما غنموا [٢]. وقيل ان من حمل اخماس المدائن إلى الخليفة هو بشير بن الخصاصية [٣].

اتخذ سعد في بادئ الأمر من الإيوان مسجداً وكانت أول جمعة جمعت في السواد فيه[٤]. لأنها كانت مستوفية الشروط الواجبة لإقامة الجمعة فقد ورد عن حذيفة (ﷺ) انه قال : " ليس على أهل القرى جمعة ولا على رأس ميل إنما الجمعة على أهل الأمصار مثل

---

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان : ٣٢٢/٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ١١٩/٣ – ١٢٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية : ٣٤٤/٤ ، ٧٤/٧ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ) ، تاريخ ابن خلدون ، دار الكتب العلمية (بيروت – د.ت) ، ج٢،ص١٠٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ١٣٠/٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية : ٤٦/٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ١٣١/٣ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١/ ٩٥ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ١٢٩/٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية : ٦٦/٧ ؛ السيوطي ، أبو بكر عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١ ، مطبعة السعادة ، (مصر – ١٩٥٢) ، ج١ ، ص١١٩ .

المدائن" [١]. وكان أول مسجد جامع بني في السواد مسجد المدائن بناه سعد وأصحابه ثم وسع بعد واحكم بنائه على يد حذيفة بن اليمان (ﷺ) [٢].

سكان المدائن :

استوطنت المدائن مزيجً مختلف من الأعراق والقوميات والأديان وتفاوتت نسبة كل فئة منها بحسب طبيعة الظروف التي كانت تحيط بها ، فبالرغم من سيادة الطابع القومي الفارسي في زمن الاكاسرة الا إن هذا لا يمنع من أن تكون هناك فئات أُخرى كانت قد سكنت المدائن ذات طوابع قومية وعرقية مختلفة . وكانت الدرية هي لغة مدن المدائن وكان يتكلم بها من بباب الملك فهي منسوبة إلى حاضر الباب والغالب عليها من بين لغات أهل المشرق وخراسان لغة أهل بلخ [٣].

سكنت المدائن جماعة تعود أصولها إلى بلاد الديلم ، فقد أورد البلاذري رواية عن المدائني قال :" كان أبرويز وجه إلى الديلم فأتى بأربعة آلاف فكانوا خدمه وخاصته ثم كانوا على تلك المنزلة بعده وشهدوا القادسية مع رستم ، فلما قتل وانهزم الفرس ، اعتزلوا وقالوا ما نحن كهؤلاء ، ولا لنا ملجأ ، وأثرنا عندهم غير جميل والرأي لنا أن ندخل معهم في دينهم ونُعّزُ بهم ، فأعتزلوا ، وقال سعد ما لهؤلاء فأتاهم المغيرة بن شعبة فسألهم عن أمرهم فأخبروه بأمرهم وقالوا : " ندخل في دينكم ، فرجع إلى سعد فأمنهم فأسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد " [٤].

أما أبناء الطائفة المسيحية فقد كان لهم امتدادً تأريخي واسعً امتد لقرون ، فقد أوردت المصادر التاريخية أن المدائن كانت مقراً لكنيسة المشرق ومكان لإقامة الجاثليق وفطاركة كرسي المشرق الذي أسس في المدائن ، ويعد الفطرك (مارماري) مؤسس كرسي

---

(١) الاصبهاني ، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد (ت٥١٦هـ) ، مشايخ الدقاق ، تحقيق الشريف حاتم بن عارف بن عوني ، ط١ ، مكتبة الرشد ، (الرياض – ١٩٩٧) ، ج١ ، ص٨٧ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان : ٣٥٥/٢ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان: ٢٨١/٤ ؛ ابن النديم ، أبو فرج محمد بن اسحاق(ت٤٣٨هـ) ، الفهرست ، دار المعرفة ، (بيروت – ١٩٧٨) ، ج١ ، ص١٩ ؛ القنوجي ، صديق بن حسن (ت١٣٠٧هـ) ، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، تحقيق عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٧٨) ،ج١، ص١٦٩ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان : ٣٤٤/٢ .

المشرق وكان له الجهد الكبير في تلمذة المدائن بأعتبارها كرسي مملكة الفرس ، وتلمذ جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز واليمن والجزائر وبلاد العرب سكان الخيم ونجران وجزائر بلاد اليمن وبحر الهند وثبت كرسي الفطركية في المدائن وامر أن لا يكون أسيامیذ الجاثليق فطرك المشرق الابها [١].

ظلت المدائن مقراً لكنيسة العراق (المشرق) طيلة الحكم الفارسي وقد تعرض اتباع هذه الكنيسة إلى الكثير من المذابح والاضطهادات من قبل ملوك الفرس وخاصة في أيام (سابور) فقد ابغض النصارى وقتلهم وأخذهم بالقهر على الدخول في دينه وان يصبحوا مجوساً [٢].

وبعد ان تم السلام بين الامبراطوريتين (الفارسية والبيزنطية) في عهد كسرى (يزدكرد الأول) أرسل القيصر (ماروتا) أسقف ميافارقين وقد حث (ماروتا) الملك (يزدكرد) على عقد مجمع للأساقفة في سلوقية المدائن إذ ترتب امور نصارى إيران وتحقق وحدة الكنيسة المسيحية وقد عقد هذا المجمع في سنة (٤١٠م) تحت رياسة اسحق أسقف سلوقية المدائن وماروتا [٣].

وكان لأسقف سلوقية المدائن المطران الكبير اوجاثليق الكنيسة المسيحية في إيران والذي كان أسقف كسكر يعمل وزيراً له ، خمس مطرانيات تحت رياسته خضعت لهذه المطرانيات ما يقارب ثلاثين أسقفية . وقد قام الخليفة الثاني لهذا الأسقف (اسحق) بترميم كنيسة سلوقية المدائن وبناء كنيسة في المدينة نفسها [٤].

وكانت ويه أردشير (سلوقية المدائن) مركز النصارى في إيران وقصر الجاثليق وكان بها الكاتدرائية – كنيسة سلوقية الكبيرة – التي خربت أيام الاضطهاد ابان ولاية سابور الثاني وأعيد بنائها بعد موته ثم أصلحت عدة مرات بالأموال التي كانت تمنح من البلاط البيزنطي وكان بها أماكن مقدسة ككنيسة القديس (نركس Narkos) ، ومدرسة

---

(١) ابن متي ، عمرو ، اخبار فطاركة كرسي المشرق ، مكتبة المثنى ، (بغداد – د.ت) ، ص ١–٢ .
(٢) ابن متي ، فطاركة كرسي المشرق : ص١٥ .
(٣) كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ، ص٢٥٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥٧–٢٥٨ .

القسس التي انشئت في القرن السادس ، وقد بنى كسرى الثاني في طيسفون كنيستي القديسة ماري والقديس سرج (Serge) [١].

وبعد بناء المنصور لمدينة بغداد أصبح من الضروري أن يكون رئيس الكنيسة قريباً من دار الخلافة ، فشرع الخليفة المهدي ابن المنصور بنقل الجاثليق (مرجع الكنيسة الأعلى) مقره من المدائن إلى بغداد وأسكنهم في مكان قريب منه يدعى (دار الروم) وأسفر هذا التقارب عن مناظرات فكرية بين الجاثليق والخليفة [٢]. وكثيراً ما قطعت الرسل والمسافات بين المدائن وروما لتقريب وجهات النظر بين مذهبي المشرق والمغرب وكانت المدائن من الأهمية الدينية ان وصل مبشروا الكنيسة إلى الهند والخليج العربي ومنغوليا ، وقبل سنتين أي سنة ٢٠٠٣م اكتشفت آثار كنيسة طيسفون إذ كان يجري انتخاب جاثليق المشرق على الطريقة التي يجري فيها انتخاب بابوات الفاتيكان[٣].

اما إليهود فكانت لهم في العراق والمدائن والشام مدارس وفقهاء كثيرون ، وذلك في زمن البابليين والفرس ودولة اليونان والرومان واجتمعوا على تأليف المنشأ والتلموذ [٤]. وكان لليهود في عهد الساسانيين جالية كبيرة في طيسفون وكان بها مدرسة يهودية للتعليم العالي منذ القرن الثالث ، هذا فضلاً عن ان رأس الجالوت (رئيس الجالية إليهودية) في بلاد بابل (العراق) كان يقيم في ماخوزا [٥].

وبعد الفتح الإسلامي للمدائن بقي لليهود وجود في المدائن إذ يمكن الاستدلال بذلك من خلال الشواهد التاريخية للوقوف على صحة تلك الروايات ، واولى هذه الشواهد هي زواج الصحابي حذيفة بن اليمان (ﷺ) بيهودية من أهل المدائن [٦].

---

(١) كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين : ص٣٧٢ .

(٢) ابن متي ، اخبار فطاركة كرسي المشرق ، ص ص ، ٦٤-٦٥ .

(٣) الخيون ، رشيد ، المدائن حاضرة الدنيا البيضاء وبوابة الفتح ، مقال منشور في جريدة الشرق الاوسط ، العدد (٩٦٤٦) ، في ٢٦/نيسان/٢٠٠٥ م .

(٤) السموأل المغربي ، بن يحيى بن عباس (ت٥٧٠هـ) افحام إليهود وقصة اسلام السموأل ورؤياه النبي (ﷺ) ، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي ، ط٣ ، دار الجيل ، (بيروت – ١٩٩٠) ، ج١ ، ص١٦١ .

(٥) كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ، ص٣٧٢ .

(٦) ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت٧٥١) ، احكام أهل الذمة ، تحقيق يوسف احمد البكري وشاكر توفيق الماروري ، ط١ ، رمادي للنشر ، (الدمام – ١٤١٨هـ) ، ج٢ ، ===

ومن الشواهد الأخرى على ذلك ما اورده ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) إذ ذكر " انه في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة جاء قوم من أهل المدائن بعد العيد إلى الخليفة فشكوا يهود المدينة وانه كان لهم مسجد يصلى فيه الجماعة ويكثر فيه التأذين وهو إلى جانب كنيسة إليهود فقال بعض إليهود للمسلمين قد أذيتمونا بكثرة الإذان وحدثت فتنة إليهود وتجاسر إليهود وجاء جماعة إلى الكنيسة التي بدار البساسيري فنهبوها ونقظوا شبابيكها واشتدت الفتنة بين المسلمين وإليهود وتقدم أمير المؤمنين بنقض الكنيسة التي بالمدائن وامر ان يجعل مسجداً [١].

أما العرب فبعد فتح المدائن وطرد الفرس منها فأول من استوطنها هم المقاتلة وكان سعد قد نوى الإقامة بها "وبعث إلى العيالات فأنزلهم دور المدائن واستوطنوها"[٢]. ومن القبائل العربية التي استوطنت المدائن وارض السواد وكانوا ضمن جيوش التحرير هي قبائل مذحج وطي وخزاعة وكندة ولخم وبني زبيد وغسان والاوس والخزرج والحارث بن كعب والازد وحمير وهمدان وعبس [٣]. اما قبيلة بجيلة فسكنت هي الأخرى المدائن والعراق وكان لها الدور الاكبر في حروب التحرير وخاصة في القادسية وفتح المدائن ، فقد أورد المسعودي (ت٣٤٦هـ) ان قبيلة بجيلة اجتمعت على جرير بن عبد الله البجلي فقدم بهم على عمر بن الخطاب (ﷺ) فسرحهم نحو العراق " وجعل لهم ربع ما أظهروا عليه من السواد " وساهموا مع المسلمين في فتح المدائن [٤].

وأورد الطبري (ت٣١٠هـ) رواية أشار فيها إلى من بقي في المدائن من الناس بعد التحول منها إلى الكوفة فكتب سعد بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ)" إني نزلت بكوفة منزلاً بين الحيرة والفرات بريا بحرياً ينبت الحلي والنصي وخيرت المسلمين في

ص٧٩٥ ؛ الشيرازي ، أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت٤٧٦هـ) ، المهذب ، د.م ، ج٢ ، ص٤٣٨ .

(١) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط١ ، دار صادر ، (بيروت – ١٣٥٨) ، ج١ ، ص٢٧٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – د.ت) ، ج١ ، ص٤٠١٦ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية : ٦٦/٧ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب : ٣٣٤/١ .

(٤) المصدر نفسه : ٣١٨/١ .

المدائن فمن أعجبه البقاء فيها تركته فيها كالمسلحة فبقي اقوام من الافناء واكثرهم بنوعبس " (١).

وكما اورد الطبراني (ت٣٦٠هـ) رواية قد تكون اشارة لعدد سكان المدائن ، فقد اوردها عن سلام العجلي انه قال : " جاء ابن اخت لي من البادية يقال له قدامة فقال لي ابن اختي أحب ان القي سلمان الفارسي فأسلم عليه فخرجنا فوجدناه في المدائن وهو يومئذ على عشرين ألفاً ..." (٢).

أما أهم وسائل النقل التي كان سكان المدائن يعتمدون عليها في التنقل بينها وبين المناطق الأخرى وخاصة المجاورة لها مثل بغداد هي (الزواريق) لوجود الانهار التي تفصلها عنها ، فقد ذكر الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) عن البرقاني قال سمعت ابن ابي خيثمة قال : " لما قدم عمر ابن علي يريد الخليفة استقبله أصحاب الحديث في الزواريق إلى المدائن " (٣). وأورد الذهبي (ت٧٤٨هـ) انه في وقعة العراة عندما نجد هرثمة واصحابه طاهربن الحسين واصحابه قتلوا من العراة خلائق كثيرة فأيقن محمد (الامين) بالهلاك " هرب من عنده عبد الله بن خازم بن خزيمة إلى المدائن في السفن بعياله " (٤).

وكانت المدائن محطة للقوافل التجارية ، وذلك لقربها من سوق بغداد ، وسكن المدائن العديد من التجار ومنهم بشير أبو الخصيب الذي قال :" كنت رجلاً موسوراً تاجراً وكنت اسكن مدائن كسرى ..." (٥). وكان تجار المدائن وتجار السواد يجتمعون سنوياً في سوق بغداد ، ويتضح ذلك من قول أهل الحيرة للمثنى بن الحارث الشيباني " ألا ندلك على قرية تأتيها تجار مدائن كسرى وتجار السواد ، ويجتمع بها في كل سنة من أموال

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ٤٧٩/٢ .

(٢) الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب (ت٣٦٠هـ) المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط٢، مكتبة العلوم والحكم ، (الموصل– ١٩٨٣)، ج٦ ، ص٢٤١ ؛ الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الفكر (بيروت – ١٤١٢) ، ج٩ ، ص٥٦٥ .

(٣) تاريخ بغداد : ٢١١/١٢ .

(٤) تاريخ الإسلام : ١٤٣٩/١ .

(٥) ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد (ت٢١٨هـ) ، من عاش بعد الموت ، تحقيق محمد حسام بيضون ، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، (بيروت – ١٤١٣هـ) ، ج١، ص٢٣–٢٤.

الناس مثل خراج العراق ..." [١]. كما كان لعثمان بن أبي العاص تجار يحضرون إلى أرض الهند والمدائن ، وكان إذا قدم تجارة له يقسم في جيرانه حتى تبلغ قسمته دور بني فلان " [٢]

بعض الأحداث التي شهدتها المدائن

شهدت المدائن منذ تأسيسها وعلى مر العصور العديد من الأحداث التاريخية المهمة التي كانت لها صدى كبير في مجريات الأحداث . فأولى هذه الأحداث هي ما أورده اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) عن إرسال كسرى بقوة عسكرية لإعانة سيف بن ذي يزن ملك اليمن لاستعادة ملكه من الأحباش ، فسارت في مياه دجلة صوب سواحل عدن وحضرموت وكانت قوة عظيمة مكونة من ثماني سفن تحمل ثمانمئة فارس من المحكومين بالإعدام في سجون كسرى بقيادة هرمز ولما وصل إلى سواحل اليمن احرق السفن ولم يترك بيد جنوده غير اقتحام الموت وقيل في جند من أهل الديلم وما يليها فقتلوا مسروقاً الحبشي باليمن وأقاموا بها [٣] .

وفي المدائن كادت تستبدل الديانة المجوسية بالديانة والفلسفة المانوية فقد تبنى بعض ملوك المدائن تلك الديانة التي انطلقت من بابل حتى أصبحت بابل دارها المقدسة والوحي لا يأتي ماني إلا في بابل ولكن ما إن مات الملك واستخلف آخر انقلب الأمر ، وقتل ماني بعد محاكمه في إيوان كسرى ، وقد جمعت المانوية بين الديانة الصابئية والمندائية والمسيحية والفلسفة ، ومن المدائن وصل أتباعها حتى إلى الصين والهند[٤] .

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ٢٦/١ .

(٢) المروزي ، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب (ت١٨١هـ) ، البر والصلة (عن ابن المبارك وغيره) ، تحقيق محمد سعيد بخاري ، ط١ ، دار الوطن ، (الرياض – ١٤١٩ هـ) ، ج١ ، ص١٢٩ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي : ١٤٤/١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب : ٨٠/٢-٨١ .

(٤) الخيون ، المدائن حاضرة الدنيا : ص٥ .

* محزوق : مضيق عليه ، ينظر ، ابن منظور ، لسان العرب : ٤٨/١٠ . وهنالك رواية أُخرى انه قتل في خانقين حيث طرح تحت ارجل الفيلة فداسته حتى قتلته ينظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي : ١٨٧/١ .

وشهدت المدائن أيضاً مقتل النعمان بن منذر ملك الحيرة بعد حبسه في ساباط المدائن من قبل كسرى أيرويز ورميه تحت أرجل الفيلة وقال فيه الاعشى " فأصبح لم يمنعه كيد وحيلة بساباط مات وهو محزوق* " (١) .

وفي المدائن حدث الصلح بين معاوية بن أبي سفيان والامام الحسن بن علي (ﷺ) وقد عرف بصلح ساباط وكان فاتحة العصر الاموي . فبعد مقتل الامام علي (ﷺ) بايع أهل العراق الحسن بن علي فسار الحسن حتى نزل المدائن ، واقبل معاوية في أهل الشام يريد الحسن ، فبينما الحسن بالمدائن إذ نادى مناد في عسكره ألا إن قيس بن سعد قد قتل ، قال فشد الناس على حجرة الحسن فأنتهبوها حتى انتهبت بسطه وجوايه وأخذوا رداءه من ظهره وطعنه رجل من بني أسد بخنجره ، فتحول من مكانه ونزل الأبيض قصر كسرى ، ولما رأى تفرق الأمر عنه بعث إلى معاوية بطلب الصلح فأعطاه ما أراد (٢) وجمع الحسن رؤوس أهل العراق في هذا القصر قصر المدائن فقال :" انكم بايعتموني على ان تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت وأني قد بايعت معاوية فأسمعوا له وأطيعوا " (٣) .

وشهدت المدائن ايضاً مقتل ابي مسلم الخراساني ، إذ يقول اليعقوبي : " وأقبل أبو مسلم يريد خراسان مغاضياً لأبي جعفر فمر بالمدائن وأبو جعفر نازل برومية بينه وبينه فرسخان " (٤) وعندما شعر بخطورته إن عاد سالماً إلى خراسان ، فعمل جاهداً على

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ١٦٦/٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب : ٤٨/١٠ ؛ الزبيدي ، تاج العروس : ٤٨٥٨/١ .

(٢) أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله احمد بن محمد الشيباني (ت٢٤١هـ) ، فضائل الصحابة ، تحقيق وصي الله محمد عباس ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٩٨٣) ، ج٢ ، ص٧٧٢ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١٣٨/١ ؛ ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ) ، تاريخ دمشق ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، (بيروت – د.ت) ، ج١٣ ، ص٢٦٤ ؛ صفوت ، احمد زكي ، جمهرت خطب العرب في العصور الزاهرة ، المكتبة العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ج٢ ، ص١١ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي : ٢١٤/٢ ؛ ابن حجر الاصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق محمد علي البجاوي ، ط١ ، دار الجيل ، (بيروت – ١٤١٢هـ) ، ج٢ ، ص٧٣ .

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي : ١٠٦/٢ .

إقناعه بالعودة بشتى الطرق وأخيراً وفد أبو مسلم على أبي جعفر فقتله وذلك سنة سبع وثلاثين ومائة في الموضع الذي يعرف برومية المدائن [١] .

ولما كان المأمون بخراسان بايع بالعهد لعلي بن موسى الرضا ونوه بذكره ، وغير زي آبائه من لبس السواد وأبدله بالخضرة ، فغضب بنو العباس بالعراق لهذين الأمرين فخلعوه وبايعوا عمه إبراهيم بن مهدي ولقبوه بالمبارك فحاربه الحسن بن سهل فهزمه إبراهيم وأقام بالمدائن ثم سار إليه الحسن بن سهل بجيشه فهزم إبراهيم واختفى أثره وانقطع خبره حتى ظهر أواسط خلافة المأمون فعفا عنه [٢] .

ومن الأحداث التي شهدتها المدائن أيضاً في العصر العباسي ، هو هروب الخليفة المتقي (٣٢٩-٣٣٣هـ) ووجوه أهل بغداد إلى المدائن ليكونوا بالقرب من ناصر الدولة الحمداني الذي كان على المدائن عندما وردت الأنباء بأن البريدي يريد بغداد ، وسار أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان في الجيش ، وكان مع البريدي جيش عظيم ، فكانت الواقعة بينهما يوم الخميس ويوم الجمعة لثلاث أو أربع خلون من ذي الحجة في القرية المعروفة (بكيل) أسفل المدائن بفرسخين ، فكانت أولاً على علي بن عبد الله بن حمدان وانهزم أصحابه ، فردهم ناصر الدولة ، وكان ناصر ابن حمدان بالمدائن ثم صارت على أبي الحسين البريدي فانهزم وقتل جماعة من قواد البريدي [٣] .

الاضطرابات التي شهدتها المدائن :

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ٢٠٧/١٠-٢١٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق : ٤١٨/٣٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية : ٧٢/١٠ ؛ صفوت ، جمهرت خطب العرب : ٣١/٣ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية : ٢٤٧/١٠-٢٤٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام : ١٦٢٧/١ ؛ الصفدي ، خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق عدد من العلماء ، (بيروت – د.ت) ، ج١ ، ص٢٥١٧ .

(٤) مسكوية ، أبو علي احمد بن محمد (ت٤٢١هـ) ، تجارب الامم ، (مصر – ١٩١٥) ،ج٢ ، ص٢٨-٢٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام : ٢٤٤٤/١ ؛ العبر : ١٣٠/١ .

شهدت المدائن العديد من الاضطرابات السياسية والفكرية المتمثلة بظهور العديد من الفرق الدينية فضلاً عن حركات الخوارج إذ كانت المدائن مسرحاً ومنطلقاً لتلك الأحداث ولكثرة هذه الأحداث نعرج على بعض منها .

وظهرت جماعة تطلق على نفسها بالسبئية في المدائن وهم من اتباع عبد الله بن سبأ الذي أدعى بالوهية الإمام علي ، فنفاه الامام علي (ﷺ) إلى المدائن ، وزعموا انه كان يهودياً فأسلم وهو أول من أظهر هذا القول بالنص وتشعبت منه اصناف الغلاة ولما قتل الامام علي (ﷺ) قال ابن سبأ انه لم يمت وانما قتل ابن ملجم شيطاناً تصور بصورة علي (ﷺ) وعلي في السحاب الرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل بعد هذا إلى الأرض ويملأها عدلاً [١] .

وظهرت في المدائن أيضاً جماعة من الغلاة يعرفون بالاسحاقية والذين ينسبون إلى محمد بن إسحاق النخعي الأحمر الذي كان يزعم أن علياً هو الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً وانه يظهر في كل وقت فهو الحسن في وقت الحسن وهو الحسين وهو واحد وانه الذي بعث بمحمد (ﷺ) ، وله مصنفات في المقالة المنسوبة إليه التي يعتقدها الاسحاقية [٢] .

أما حركات الخوارج ، فقد ظهرت في المدائن العديد من تلك الحركات وإن لم تكن المدائن مقرها فأنها كانت نقطة انطلاقها ورقعة اتساعها وملإذاً لاصحابها . واولى هذه الحركات خروج سعد بن قفل على الامام علي (ﷺ) في المدائن وكان هذا من الجماعة الذين كانوا على رأي المحكمة الأولى[٣] وفي سنة ثمان وستين هجرية رجع الازارقة من

---

(١) البغدادي ، أبو منصور عبد القادر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ) ، الفرق بين الفروق وبيان الفرقة الناجية ، ط٢، دار الآفاق الجديد ، (بيروت–١٩٧٧) ، ج١ ، ص١٧٢؛ الجرجاني ، علي بن علي (ت٧٤٠هـ) ، التعريفات ، تحقيق إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، (بيروت–١٤٠٥هـ) ، ج١ ، ص١٥٥ ؛ المناوي ، محمد عبد الرؤوف (ت١٠٢٩هـ) ، التوفيق على مهمات التعريف ، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر، (بيروت–١٤١٠هـ)، ج١، ص٣٩٤.

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ٣٨٠/٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم : ٢٠/٦ ؛ تلبيس إبليس ، تحقيق السيد الجميلي ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – ١٩٨٥) ، ج١ ، ص١١٩ .

(٣) البغدادي ، الفرق بين الفرق : ٣١/١ .

فارس إلى العراق حتى صاروا إلى قرب الكوفة ودخلوا المدائن واخذوا يسرحون منها أتباعهم إلى سائر الأنحاء [١] .

وظهرت في المدائن أيضاً جماعة من التوابين من أنصار سليمان بن صرد الخزاعي ، عندما خرج مدعياً بأخذ الثأر والنصرة لآل محمد (ﷺ) وأخذ الأخير بإرسال رسله إلى أنصاره وكان في المدائن سعد بن حذيفة بن اليمان الذي تسلم رسالة من احد رسل سليمان ليقرأها على من كان في المدائن من الشيعة ، ولاقت حركته هذه إقبالاً وترحيباً بالغاً من أهل المدائن وخاصة من كان على مذهب الشيعة [٢] .

وبعد موت يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ) ورجوع جند الشام إلى الشام ، استقام لابن الزبير ولاية الحجاز واليمن والعراق وفارس ، لقي المختار من ابن الزبير جفوة فهرب منه إلى الكوفة ومنها أعلن عن حركته وانه خرج طالباً بثأر الحسين (ﷺ)، ومنها بعث رسله إلى المدائن ونواحيها ودعاهم إلى البيعة له ووعدهم بأخذ الثأر والانتقام من قتلته فلاقت دعوته صدى واسعاً في المدائن وانضم إليها غالبية أهلها ولما قوى عوده وعظم أمره وأصبح يشكل خطراً على ابن الزبير ، خرج إليه مصعب بن الزبير الذي كان على البصرة فالتقى الجيشان بالمدائن وانهزم أصحاب المختار وقتل أكثر قواده [٣] .

وخرج شبيب بن قحطبة على عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) إذ ان شبيب قصد عبد الملك بن مروان إلى الشام ونزل على روح بن زنباع وقال له سل أمير المؤمنين أن يفرض لي في أهل الشرف فأن لي في بني شيبان تبعاً كثير ، فسأل روح بن زنباع عبد الملك بن مروان فقال هذا رجل لا أعرفه واخشى ان يكون حروروياً ، وذكر روح لشبيب ان عبد الملك بن مروان ذكر إنه لا يعرفه فقال سيعرفني بعد هذا ، ورجع إلى بني شيبان وجمع من الخوارج الصالحية واستولى بهم على ما بين كسكر والمدائن وهزم للحجاج عشرين جيشاً لمدة سنتين وسيطر على الكوفة ونصب امه غزالة على المنبر حتى خطبت [٤] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ٣/٤٩٨-٤٩٩ .

(٢) الطبري ، المصدر نفسه : ٣/٣٩٣ .

(٣) الطبري ، المصدر نفسه : ٣/٣٩٣ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق : ١/٣١-٣٥ .

(٤) الطبري ، المصدر نفسه : ٣/٥٥٧ ؛ البغدادي ، المصدر نفسه : ١/٩٠ .

وفي سنة (٧٧هـ) خرج المطرف بن مغيرة بن شعبة على الحجاج وخلع عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) ، وكان الحجاج قد استعملهُ على المدائن ، وجمع إليه رؤوس أصحابه وخطب فيهم ودعاهم إلى أمره وقال لهم : " من أحب منكم صحبتي وكان على مثل رأيي فليتابعني فأن له الأسوة وحسن الصحبة ومن أبي فليذهب حيث شاء ، فأني لست أحب أن يتبعني من ليست له نية في جهاد أهل الجور ادعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وإلى قتال الظلمة فإذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الأمر شورى بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبوا " [١].

ولما دخلت سنة (١٢٩هـ) خرج عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن علي بن أبي طالب * بعد هزيمته بالكوفة ودخل المدائن فبايعه اهلها فأتاه قوم من أهل الكوفة يبايعونه وغلب على فارس فخضعت له الجبال وحلوان وقومس وأصبهان والري[٢] . وفي سنة (١٣٤هـ) خلع الطاعة بسام بن إبراهيم الخراساني وخرج معه طائفة ، فساقوا إلى المدائن فوجه السفاح لحربهم خازم بن خزيمة [٣] .

نهاية المدائن واضمحلالها :

تعددت الأسباب واختلفت الروايات حول نهاية المدائن واضمحلال دورها السياسي ، فلما ملك العرب ديارهم من الفرس وخطت الكوفة والبصرة انتقل إليهما الناس عن المدائن وسائر أنحاء العراق ومن ثم اختط الحجاج واسط فصارت دار إمارة ، فلما زال ملك بني أمية اختط المنصور مدينة بغداد فأنتقل الناس إليها ثم اختط المعتصم سامراء فأقام الخلفاء فيها مدة ثم رجعوا إلى بغداد " وهي الآن أم بلاد العراق" كما يشير إلى ذلك ياقوت

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ٥/١٠٦-١١١ .

* له ترجمة مطولة في مقاتل الطالبين لأبي فرج الأصفهاني ، لم يمتدحه أبو الفرج بالرغم من ميوله العلوية ، ومما قال فيه : " انه كان سيء السيرة رديء المذهب ، قتالاً ، مستظهراً ببطانة السوء وممن يرمى بالزندقة ، ولولا يظن إن خبره لم يقع علينا ، لما ذكرناه " . ينظر : الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ) ، مقاتل الطالبين ، تحقيق السيد احمد صقر ، (إيران – ١٤٢٥هـ) ، ص١٥٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ٣/٣١٥ .

(٣) الذهبي ، تاريخ الإسلام : ١/٩٨٠ .

في زمانه [١] . وهذه الأسباب وغيرها ساهمت في إضعاف دور المدائن السياسي ، وكان تحول المسلمين إلى الكوفة أول تلك الأسباب فقد تعددت الروايات في سبب ذلك التحول ومن هذه الروايات ما أورده الطبري (ت٣١٠هـ) فقال :" لما جاء فتح جلولاء وحلوان ونزول القعقاع بن عمرو بحلوان فيمن معه وجاء فتح تكريت والحصنين ونزل عبد الله بن المعتم وابن الافكل الحصنين فيمن معه وقدمت الوفود بذلك على عمر فلما رآهم قال والله ما هيأتكم بالهيأة التي أبدأتم بها ولقد قدمت وفود القادسية والمدائن وإنهم لكما ابدؤا ولقد إتكيتم فما غيركم قالوا وخومة البلاد فنظر في حوائجهم وعجل سراحهم " [٢] .

وفي رواية أُخرى عن السري عن شعيب عمن رواه عن الشعبي انه قال :" كتب حذيفة إلى عمر ان العرب قد إترفت بطونها وخفت أعضاؤها وتغيرت ألوانها ". فكتب عمر إلى سعد أنبئني ما الذي غير لون العرب ولحومهم فكتب إليه " ان العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة " وكتب إليه " أن العرب لا يوافقها الا ما وافق إبلها من البلدان " فأبعث سلمان رائداً وحذيفة فكانا رائدي الجيش فليرتادا منزلاً برياً وبحرياً ليس بيني وبينك بحر ولا جسر فبعث سعد حذيفة إلى شرقي الفرات وبعث سلمان إلى غربي الفرات فلم يرتضيا شيئاً حتى اتيا الكوفة [٣] .

وخير عمر (ﷺ) أهل الكوفة بين البقاء بالمدائن أو الانتقال إلى الكوفة فقال : " أي منزليكم أعجب اليكم يعني الكوفة أو المدائن وأني لأسألكم واني لأعرف فضل أحداهما على الاخر ، فقال جرير ان منزلنا هذا الادنى محلة إلى السواد من البر ، اما الاخر فوعك البحر وغمه وبعوضه ..." [٤].

وقد تعرضت المدائن بمرور الأزمان إلى زوال كثير من معالمها الحضارية التي كانت مضرب الأمثال ، إلى النقض والتخريب الأمر أدى إلى طمس معالم بعضها بشكل كامل . فقد ذ'كرَ عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أبيه قال :" لما أراد المنصور بناء مدينة بغداد وأشار أصحابه فيها ، وكان ممن شاوره فيها خالد بن برمك فأشار بها فذكر انه خط مدينة أبي جعفر له وأشار بها عليه فلما احتاج إلى الانقاض قال له ما ترى في

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٧٥/٥ ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع : ١٢٤٣/٣ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ٤٧٧/٢ .
(٣) الطبري ، المصدر نفسه : ٤٧٧/٢ .
(٤) الطبري ، المصدر نفسه : ٥٤٥/٢ .

نقض بناء مدينة كسرى بالمدائن واحمل نقضه إلى مدينتي هذه ، فقال خالد لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين ، قال ولم ، قال لانه علم من اعلام الإسلام يستدل الناظر إليه على انه لم يكن ليزال مثل اصحابه عنه لا بأمر دنيا وانما هو امر دين . ومع هذا يا أمير المؤمنين فيه مصلى علي بن أبي طالب ، قال هيهات يا خالد أبيت الا الميل لاصحابك العجم ، وامر ان ينقض القصر الابيض فنقضت ناحية منه وحمل نقضه ، ونضر في مقدار ما يلزم للنقض والحمل ، فوجد ذلك اكثر من ثمن الجديد لو عمل ، فرفع ذلك إلى المنصور ، فدعا خالد بن برمك فأعلمه بما يلزم في نقضه وحمله وقال ما ترى ، قال يا أمير المؤمنين قد كنت أرى قبل الاتفعل فأما إذا فعلت فأني أرى ان تهدم الآن حتى يلحق بقواعده لئلا يقال إنك قد عجزت عن هدمه ، فأعرض المنصور عن ذلك وأمر ألا يهدم" [١] .

ولما قام المكتفي بالله العباسي (٢٨٩-٢٩٥هـ) ببناء قصر التاج الذي بدأبه ابيه المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ) على الطراز الحيري مبنياً على خمسة عقود كل واحدة منها عشرة اساطين ، والاسطوانة خمسة اذرع وكان الاجر الذي استخدم في بنائه قد جلب من انقاض القصر المعروف بالكامل ومن القصر الابيض الكسروي في المدائن . ومن طريف ما يذكر في بنائه ان الاجر الذي كان ينقض من شرفات قصر كسرى وحيطانه يوضع في مسناة التاج وفي قرارها وما كان في اساسات قصر كسرى تبنى به أعالي التاج وشرفاته [٢] . وقال ابن الحاجب يذكر الايوان :

يا من بناه بشاهق البنيان أنسيت صنع الدهر بالايوان

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ٤٧٨/٤ ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب : ١٨٢/١ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١٣٠/١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٢٩٤/١ ؛ الابشيهي ، أبو الفتوح شهاب الدين محمد بن احمد ، المستطرف في كل فن مستظرف ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٨٦) ، ج٢ ، ص٣٠٨ .

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان:٢٩٥/١ ؛ تحسين حميد مجيد ، المعتضد بالله ، رسالة ماجستير، كلية الاداب – جامعة بغداد ، ١٩٦٩ ، ص١٤٨ .

هذي المصانع والدساكر والبنا وقصور كسرانا آنوشروان
كتب الليالي في ذراها أسطر بيد البلى أنامل الحدثان
ان الحوادث والخضوب إذا سطت أودت بكل موثوق البنيان[١]

وإياه أراد البحتري بقوله :

لقد رابني نبؤ بن عمي بعد لين من جانبيه وإنس
واذ ما جفيت كنت حرياً أن أرى غير مصبح حيث أمسى
حضرت رحلي الهموم فوجهة إلى أبيض المدائن عنسي
أسلى عن الحضوض وآسى من آل ساسان درس
ذكرتينهم الخضوب التوالي ولقد تذكرت الخضوب وتنسي[٢]

وعن أبي الدرداء (ﷺ) انه كان يقوم على ابواب المدائن الخربة ويقول : يا مدينة أين اهلك أين سكانك أين ، ثم لا يخرج حتى يبكي ويبكي [٣] .

اما المدائن في وقتنا هذا أي (ياقوت سنة ٦٢٦هـ) فهي بليدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد ستة فراسخ ، واهلها فلاحون يزرعون ويحصدون . ويقول ياقوت (ت٦٢٦هـ) :" والغالب على أهلها التشيع على مذهب الامامية " وبالمدينة الشرقية قرب الايوان قبر الصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضي الله عنه) [٤] . وقال الشاعر في رثائها :

من مراد دعوت كريباً بالمدائن دعوت وسيرت إذا ضمت على الاظافر
فيال بني سعد علام تركتما أخاً لكما يدعوكما وهو صابر
إذاً لكما ان تدعوه يجيبكما ونصر كما منه إذا ريع فاتر

وقال عبدة بن الطيب:

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٨٥/١- ٥/٢ ؛ الزبيدي ، تاج العروس : ٤٥٨٠/١ .
(٢) البحتري ، ديوان البحتري ، تحقيق حسن علي الصيرفي ، دار المعرفة ، (مصر – ١٩٦٤) ج٢ ، ص١١٥٣-١١٥٤ .
(٣) البيهقي ، أبو بكر احمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ) ، شعب الايمان ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٠هـ) ، ج٧ ،ص٤٠٠ .
(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٧٥/٥ .

هل حبل خولى بعد الهجر موصول ... أم أنت منها بعيد الدار مشغول
وللأحبة في دار مجاورة أهل ... المدائن فيها الديك والفيل يقارعون
رؤوس العجم ظاهرة فيها ... فوارس لا عزل ولا ميل
من دونهما لعتاق العيس ... ان طلبت يناط المال مجهول[١]

أهمية المدائن التاريخية :

برزت أهمية المدائن مع بداية حروب التحرير في ارض السواد من العراق . فبعد ان زال ملك الفرس عنها صارت قاعدة لجيوش المسلمين ومكاناً لمواصلة تحرير باقي ارض السواد . فمنها انطلقت جحافل المسلمين ، فقد أشار الطبري (ت٣١٠هـ) ان سعد بن أبي وقاص (ﷺ) أرسل عبد الله بن المعتم في خمسة آلاف من المدائن فساروا إلى تكريت [٢]. وذكر ابن كثير أن سعد بن أبي وقاص (ﷺ)لما فتح المدائن بعث العيالات فأنزلهم دور المدائن واستوطنوها حتى فتحوا جلولاء وتكريت والموصل [٣].

ويمكن اعتبارها نقطة انطلاق لتمصير أكبر المدن في العراق الكوفة والبصرة ، فقد وردت بعض الروايات فيها إشارة إلى أنها مصرت وخرج من قام بتمصيرها من المدائن متحولاً لها. ومن هذه الروايات رواية ابن كثير (ت٧٧٤هـ) عن المدائني قوله" إن البصرة إنما مصرت في ربيع من سنة ست عشرة وان عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت ووجهه إليها سعد بأمر من عمر بن الخطاب (ﷺ) [٤].

وضلت المدائن مأهولة بالسكان حتى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، . فقد اتخذها هولاكو معسكراً لجنده حين تقدم نحو بغداد ، ولعل بقاء المدائن واستمرارها إلى يومنا هذا يعود إلى أهميتها السياسية المتمثلة بوجود مراقد الصحابة سلمان الفارسي وعبد الله الأنصاري وحذيفة بن اليمان (رضي الله عنهم) مما أعطاها طابعاً دينياً جعلها قبلة للزائرين والمحبين ، فضلاً عن انها جمعت بين السياحة الدينية والسياحة التاريخية لأثرها

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٧٥/٥ .
(٢) تاريخ الرسل والملوك : ٤٧٤/٢ .
(٣) البداية والنهاية : ٦٦/٧ .
(٤) المصدر نفسه : ٤٧/٧ .

الباقي شاهقاً (ايوان كسرى) فانها كانت منتزهاً للبغداديين ، لما فيها من فضاء واسع من البساتين المفتوحة على دجلة ، وقد كان للبغداديين اهزوجة شعبية قالوا فيها : (إلي مايزور السلمان عمره خسارة) ، فضلاً عن انها ارض زراعية ذات تربة خصبة وقريبة من مياه دجلة وديإلى إذ تنتشر فيها البساتين والمروج الخضراء [١].

وبالرغم من كل ما تعرضت إليه المدائن من تخريب وإهمال وهجرة أهلها إلى الأمصار الإسلامية التي بنيت فيما بعد ، وبالرغم من أنها فقدت مكانتها السياسية ، فأنها ظلت محافظة على دورها الفكري والحضاري من خلال ما أنجبته من العلماء عبر قرون متصلة ، فكان منهم المحدثون والفقهاء والنحويون والشعراء والاخباريون والمؤرخون والزهاد ، وهو ما سوف نتحدث عنه في الفصل القادم .

(١) تحسين حميد مجيد ، موسوعة علماء ديإلى – القسم الرابع ، علماء المدائن ، بحث منشور ، مجلة كلية التربية / جامعة ديإلى ، العدد ٢٣ لسنة ٢٠٠٦م ، ص١ .

Abstract

My First Knowledge to the novels of Al-madaan Scientists through novels of Abu- Al-Hassan Ali Bin Mohammad who died in (225 H) was depended in his novels by other Old writers in History . Thys , readers May think that there is no novelists for Al-Madaan people except him especially when some Writers in history did not mention his Full name for his fame and they say only Al-Madaany Said or Mentioned or talked in their Writings They Mean Abu Al-Hassan Al- Madaa'ny himself and others.

After My Knewledge of the research published by my teacher Dr.Tahseen Hameed Majeed in Diyala Magazine about (Al-Madaan Scientists) and it is the 7th part of Diyala Series Scientists . I have a great desirefor Choosing it . After Checkeing and investigating Many references, the researcher found that the Subject is important and , new and Valuable to be studied and to be MA or ph.D project especially there is a previous academic studic , Studied the Scientists of Many lslamic big Cities like Kufa , Basrah , wasit and others , but Al-Madaan City was not included in it.

The Scope of the research is limited in the time between the Ist Century (H) fill the decline of Baghdad in 656 (H) where there are some strong believers and supporters and followers who end with Ibn Abi-Al- Hadeed ,The researcher put, away novels of Abu Al-Hassan Al-Madaany because it is too Much and needs Many Studies and thesis .

The researcher limited himself with the historical novels and neglected their novel or publishing in Explanation and speech and Fikh and readings just those that have a benefit as a historical Material .

Difficulties and Problems that facad Us during the Writing of this research was not in reference , but the difficult Circumstances that our belowed country Passing naw and the destroy , loss , damaging and Stealing Most of the libravies .

The necessity of the subject forced the researcher to divide the research into four chapters .

The first Chapter is a general study for Al-Madaan , it's name , place , geographic importance , it's growth and expansion especially before Islam and Al-Sasany period , then entering Islam after Al- Radisy a battle and became the first city of Islam before bvilding the Islamic Cities like Al-Kufa and Al-Bassah .

At the same Chapter , the researcher studied the constructing of publication their regional belief , national it ies sit's Cultural role and after Islam and the main events that happened in this city in different times and following its Curapting and decline , then losing it's historical importance bill it is Known only as a small city and a placey some strong bel. Everstike salman Al-Farisy , but it had an international fame and a place of Culture and devel opement .

Chapter two deals with Biographies for the main and famous figures , their name and family birth and death and the scientific faculty that worked in and the scientific biography , their teachers and students and publishers , and wandering among cities and Islamic countries as part of journeg seeking for science and giving the opinion of others on them to Know the importance of ther novels and it's validity .

The Biographies are arranged according to the alphabetical Order not according to the importance and neglected arranging them according to date of death because some of the biographies didn’t have dated of death even if it found they are different in writing it .

Chapter three discusses pieces of novels for Al-Madaan Screntists neclecting the declined regional peace that didn’t have historical relationship so this Chapter became more than others and it is not a mistalce but the nature of this chapte , led to be big . The novels are arranged according to its historical date and subject so it began with novels about (Al-Mubtada) and about Creation and stories of prophets and previovs stories, of prophets and previous nations and the prophets biography and Al-Khilafa